
نَفَحَاتٌ مَنْ
تَارِيْخِ
الْمُسْلِمِيْنَ
depositphotos
Image ID: 180433176
www.depositphotos.com

كتاب قد حوى دررا.

بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيها

حقوق الطابع للعامة

إهداء وإعتراف لإصحاب الفضل

إلى حبيبى الشفعيع إمام ألأنبياء محمد بن عبد الله وإلى سائر ألأنبياءصلوات الله وسلامه عليهم وإلى أصحابهم اجمعين وإلى جميع معلمى حفظهم الله ولاسيما مربى ومعلمى

الشيخ مولانا إحسان الحق الشامنصورى حفظه الله ورعاه وإلى والدى و أمى وإلى جميع إخوتى واخواتنا وإلى جميع المسلمين والمسلمات

أللهم تقبل منى ومنهم هذا البضاعة

آمين

تأملات_تاريخية

("تفاؤل في الأسوأ (الجزء "1" من "5

العالم الإسلامي قبيل هجمات التتار-

لكي تهون عليك مصيبة المسلمين الآن تخيل معي !!كم كانت مصيبة المسلمين في ذلك الزمان ؟

لكي نقرب لك المسافة أكثر، تساءل: كم كانت مساحة المسلمين في ذلك الحين (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، وكم كان يسكنها !من البشر ؟

ربما يصيبك العجب والانبهار إذا علمت أن حدود الدولة الإسلامية وقت هجمات المغول تمتد من غرب الصين عبر آسيا وأفريقيا إلى بلاد الأندلس جنوب وغرب أوروبا.

تخيَّل معي هذه الأعداد الهائلة وهذه الإمكانيات البشرية والمادية والعلمية، غير أنها ما أغنت عنهم شيئا أمام جحافل همجية أكلت الأخضر واليابس !!

فأما الخلافة العباسية في بغداد فوصلت إلى مرحلة من الضعف والهوان ما لا يخفى على ناظر، ولم يكن بوسع الخليفة المستعصم (640 ـ 656هـ 1242 ـ 1258م) آخر خلفاء بني العباس -وهو الرجل الضعيف الذي سيطر عليه رجال السوء- أن يفعل شيئاً ضد هذا الخطر الجارف. وأما الأيوبيون في مصر والشام والحجاز واليمن فقد تفككت أملاكهم بعد وفاة صلاح الدين، وصار

النزاع بين أبناء البيت الأيوبي على أشده، وكثيراً ما كان يحتدم النزاع بين حكام هذه البلاد فيستعين الواحد منهم على الآخر، بعدو ثالث، بل وصل الأمر إلى استعانة بعضهم بالصليبيين على أقاربهم من الأيوبيين، وعلى هذا فإن بلاد الشام أيضاً كانت في حالة من الانقسام والتباغض والشحناء أشد مما كانت عليه إيران، وخراسان والعراق.

تأملات_تاريخية

("تفاؤل في الأسوأ (الجزء "2" من "5

!! التتار .. جيوش تهلك الحرث والنسل-

في الحقيقة ليس غرضنا في هذه السطور أن نستعرض تاريخ الغزو التتري على بلاد المسلمين،

بقدر ما نهدف إلى إبراز تلك الحالة النفسية التي كان عليها حكام المسلمين ومحكوميهم، تلك الحالة التي ربما تتشابه كثيرا إلى حد قريب مع حالتنا الآن، بل ربما –-يما أرى- هي الأبشع والأكثر سوءًا لقد كانت حالة مستفزة نفسيًا وسياسيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا !

ففي أوائل القرن السابع الهجري ظهرت دولة التتار(في سنة 603 هـ تقريبًا)، وكان ظهورها الأول في "منغوليا" في شمال الصين، وكان أول زعمائها هوجنكيز خان (قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم).

بدأ جنكيزخان في التوسع تدريجيًّا في المناطق المحيطة به، وسرعان ما اتسعت مملكته حتى بلغت حدودها من كوريا شرقًا إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غربًا، ومن سهول سيبريا

شمالًا إلى بحر الصين جنوبًا .. أي أنها كانت تضم من دول العالم حاليًا: (الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا.. إلى جانب !!(مملكة لاوس وميانمار ونيبال وبوتان

هذا هو ملخص للقوى الموجودة على الساحة في أوائل القرن السابع الهجري، إذ كانت هناك ثلاث قوى رئيسية: قوة الأمة الإسلامية والصليبيين والتتار، ومن سنة الله تعالى أن الباطل -مهما تعددت صوره– لا بد أن يجتمع لحرب الحق .. ومن سنة الله تعالى كذلك أن الحرب بين الحق .والباطل لا بد أن تستمر إلى يوم القيامة

! تخيل معي أخي الكريم .. انظر ماذا حدث

أرسل الصليبيون وفدًا رفيع المستوى من أوربا إلى منغوليا (مسافة تزيد على اثني عشر ألف كيلو متر ذهابًا فقط!!) يحفزونهم على غزو بلاد

المسلمين، وعلى إسقاط الخلافة العباسيةواقتحام بغداد، وأنهم سيكونون لهم خير معين. لا تتعجب بعد ذلك عندما ترى ذلك التحالف العجيب بين أمريكا وروسيا والكيان الصهيوني وإيران ودول الكفر جميعا ضد المشروع الإسلامي سواء في مصر أو سوريا على الخصوص، فها نحن رأيناه في القديم !!

وهكذا بدأ التتار يأخذون جديًّا في إسقاط الخلافة العباسية !!

بدأت الهجمة التترية الأولى على الدولة الخوارزمية سنة 616هـ، والتقى الفريقان على مقربة من مدينة أترار، وذلك شرق نهر سيحون (وهو يعرف الآن بنهر سرداريا، ويقع في دولة كازاخستان المسلمة)، وقتل من الفريقين خلق كثير .. لقد استُشهد من المسلمين في هذه

الموقعة عشرون ألفاً، وذلك بعد حصار دام خمسة أشهر !!

ماذا فعل التتار في بلدان العالم الإسلامي ؟ تعالوا نتتبع خطواتهم في البلاد المسلمة!! تعالوا لنتتبع حجم المأساة التي كان يعيشها المسلمون حكاما ومحكومين !!

لنرى !!

بدأت هجمات التتار الأولى على العالم الإسلامي منذ سنة 616هـ، وفيها أسقطوا أقاليم خوارزم جميعها (بخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر) وأقاليم خراسان (مرو ونيسابور وهراة) وأذربيجان (مراغة وقزوين) وأقاليم إيران (همذان وأردويل وتبريز).

وبعد أن تملك التتار إقليم خوارزم وخراسان بكاملهما، استحوذوا على إقليم أذربيجان المسلم ومملكتي أرمينية وجورجيا النصرانيتين. ثم توجهوا صوب أوروبا الشرقية، فاستولوا على روسيا بكاملها وأحرق مدينة موسكو، ومع أن مساحة روسيا سبعة عشر مليون كيلومتر مربع .. إلى جانب أعداد سكانها الهائلة وأحوالها المناخية القاسية إلا أن التتار احتلوها بالكامل في عامين فقط، وذلك في سنتي 635 و 636هـ!! ثم أسقطوا مملكة أوكرانيا وبولندا والمجر، وتقدموا في أوروبا حتى مدينة برلين، بعد أنزلوا بالسكان الفناء والهلاك وبالمدن الخراب والدمار وفي هذا الإقليم وحده، جمعوا أكياساً ملأوها بآذان ضحاياهم وقتلاهم فبلغ مجموعها 270000 أذن أخذوها معهم دليلاً على ما كانوا يفخرون به من بأس وسطوة.

ولم تأت سنة 639هـ حتى وصلت حدود دولة التتار في هذه السنةمن كوريا شرقًا إلى بولندا غربًا، ومن سيبيريا شمالًا إلى بحر الصين جنوبًا .. وهو اتساع رهيب في وقت محدود .. وأصبحت قوة التتار في ذلك الوقت هي القوة الأولى في العالم بلا منازع !!

سأسرد لكم بعض الأرقام المفزعة لتعرفوا حجم المأساة التي عاشتها الأمة حينًا من الدهر !!

مأساة بخارى

لقد جهَّز جنكيزخان جيشه واخترق كل إقليم كازاخستان الكبير، ووصل في تقدمه إلى مدينةبخارى المسلمة (في دولة أوزبكستان الآن)، وذلك في أواخر عام 616هـ/1219م، واستمر الهجوم على بخارى ثلاثة أيام، ودخل جنكيز خان المدينة ومر أمام مسجد هاشم دخله ممتطياً

جواده، وأحضر الفقهاء الأجلاء ليسوسوا البغال، يقول ابن كثير: "فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل وأسروا الذرية، والنساء، وفعلوا مع النساء الفواحش في حضرة أهلهن، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب وكثر البكاء والضجيج بالبلد".

تصبَّر يا أخي ! لم تكن تلك آخر المآسي .. بل كانت بداية الطوفان وأول الإعصار .. نحن في مبتدأ القصة !!

مأساة سمرقند

لقد دخلت سنة 617هـ، وفيها اجتاح التتار سمرقند

مأساة سمرقند

لقد دخل التتار سنة ٦١٧ه سمرقند واجتاحوها

في أوزباكستان حاليًا) فخرج 70 ألفا من)
المسلمين لقتالهم، ودارت المعركة، ويا ويح قلبي
!! يقول ابن الأثير: "وأخذهم السيف من كل
جانب، فلم يسلم منهم أحد، قتلوا عن آخرهم
شهداء، رضي الله عنهم، وكانوا سبعين ألفا على ما
قيل".

مأساة خراسان ومرو

ثم توالت مذابح التتار الشنيعة في بلاد المسلمين،
فقتلوا في خراسان سنة 617هـ جميع النساء
والرجال والأطفال حتى قيل إن عدد من قتل من

سكان هذه المدينة بلغ أكثر من سبعين ألفاً، وأما مدينة مرو (تقع الآن في دولة تركمنستان المسلمة) فدخلها التتار في المحرم سنة 618هـ وأصبحت أثراً بعد عين وهلك سكانها أجمعين الذين قدرهم ابن الأثير بسبعمائة ألف، وأما الجويني فقدر هذا العدد في كتابه تاريخ جهان كشاي فذكر أنه بلغ مليوناً وثلاثمائة ألف رجل، عدا الجثث التي كانت في أماكن خفية.

مأساة نيسابور وهراة

وأما نيسابور (شمال شرقي إيران) فلما دخلها التتار سنة 618هـ قتلوا كل من صادفهم من رجال ونساء وأطفال، ولم يتركوا حتى القطط والكلاب، وأما مدينة هراة (شمال غربي أفغانستان) فلم تسلم من التتار وقتلوا من أهلها نحو اثني عشر ألف مسلم.

مأساة أقاليم إيران

ثم بدأت جحافل التتار في غزو أقاليم إيران، فتم اجتياح همذان وأردويل وتبريز، وقتلوا في قزوين -حيث إقليم أذربيجان المسلم- أربعين ألف نفس. ثم دخل التتار بيلقان، يقول ابن الأثير: "ووضعوا فيهم السيف، فلم يبقوا على صغير ولا كبير، ولا امرأة، حتى إنهم كانوا يشقون بطون الحبالى، ويقتلون الأجنة، وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها، وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة، فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم إليه يدا".

وهكذا دواليك من المذابح والمجازر الفظيعة في كل بلد مسلم، والغريب في حال المسلمين حكاما ومحكومين كما يقول ابن الأثير رحمه الله: "فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين، بل كل منهم مقبل على لهوه

ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو، وقال الله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 25]...

تأملات_تاريخية |

("تفاؤل في الأسوأ (الجزء "3" من "5

صور مخزية وواقع مرير

ونتيجة سوء التربية، وغياب الفهم الصحيح للإسلام، والتمسك بالدنيا إلى أقصى درجة، وعدم وضوح الرؤية عند الناس، فلا يعلمون العدو من الصديق، ونتيجة الحروب التترية السابقة، والتاريخ الأسود في كل مدينة وقرية مر عليها التتار ..نتيجة كل هذه العوامل فقد دبت الهزيمة النفسية الرهيبة في داخل قلوب المسلمين، فما استطاعوا أن يحملوا سيفًا، ولا أن يركبوا خيلًا، بل

ذهب عن أذهانهم أصلًا التفكير في المقاومة .. وهذا ولا شك سهّل جدًا من مهمة التتار الذين وجدوا أبوابًا مفتوحة، ورقابًا جاهزة للقطع!!

وهذه صور يرويها لك مؤرخو الإسلام، صور مخزية تصور واقع مرير، ولن أجد أبلغ حديثًا من ابن الأثير في تصوير تلك الحالة، يقول: "ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم".

تخيل معي هذه الحالة النفسية لمسلمي مدينة مراغة بأذربيجان المسلمة عندما دخلها التتار في الرابع صفر سنة 618هـ، ووضعوا السيف في أهلها، يذكر ابن الأثير مأساة الخنوع والذلة والمهانة وانعدام الرجولة، فيقول: "وبلغني أن امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها

وهم يظنونها رجلا، فوضعت السلاح وإذا هي امرأة، فقتلها رجل أخذته أسيرا، وسمعت من بعض أهلها أن رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى أفناهم، ولم يمد أحد يده إليه بسوء، ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا، نعوذ بالله من الخذلان".

لا تعقيب !!!

ويروي ابن الأثير بعض الصور التي استمع إليها بأذنه من بعض الذين كُتبت لهم نجاة أثناء حملات التتار على المدن الإسلامية خاصة في ديار بكر والجزيرة الفراتية بالعراق، وكان قريبا منها لأنها من أهل الموصل، فيقول: - إن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس، فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد، لا

يتجاسر أحد أن يمد يده إلى ذلك الفارس بهجوم أو بدفاع!!. - ولقد بلغني أن إنسانا منهم أخذ رجلا، ولم يكن مع التتري ما يقتله به، فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح، فوضع رأسه على الأرض، ومضى التتري فأحضر سيفا وقتله به.
ويحكي رجل من المسلمين لابن الأثير فيقول: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلًا في طريق، فجاءنا فارس واحد من التتر، وأمرنا أن يقيد بعضنا بعضًا، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب؟!! فقالوا: نخاف، فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا، فوالله ما جسر أحد أن يفعل ذلك، فأخذت سكينًا وقتلته، وهربنا فنجونا، وأمثال هذا كثير !! - ويذكر ابن كثير فيقول: "كان كل مسلم قبل أن يُقتل يستحلف التتري بالله ألا يقتله .. يقول له: "لا بالله لا تقتلني"، فمن كثرة ما سمعها التتار، أخذوا يتغنون بكلمة "لا

بالله".. يقول رجل من المسلمين اختبأ في دار مهجورة ولم يظفر به التتار: إني كنت أرى التتر من نافذة البيت بعد أن يقتلوا الرجال ويسبوا النساء، يركبون على خيولهم وهم يلعبون ويضحكون يغنون قائلين: "لا بالله .. لا بالله، وهذه طامة عظمى وداهية كبرى فإنا لله وإنا إليه راجعون".

تأملات_تاريخية

("تفاؤل في الأسوأ (الجزء "4" من "5

سقوط بغداد .. الفجيعة الكبرى|

هذه المآسـي الموجعة وهذه الأحداث المزلزلة لم تكن نهاية المطاف لمصائب التتار في بلاد المسلمين؛ فقد أعقبتها الكارثـة الكبرى والفتنة العظمى بوصول التتار إلى بغداد وسقوطها في أيديهم وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله.

ويحيط بنا الأسى ويكاد الألم يقطع قلبي وأنا أذكر لك أحداث هذه الفترة بآلامها وكوارثها وآثارها ونتائجها. وسأترك لك أخي الكريم لتقرأ

كلام ابن الأثير رحمه الله، لتتخيل حجم المأساة التي عاشتها الأمة في تلك المحنة، يقول: "لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها".

وفي يوم الثلاثاء 22 من المحرم 656هـ/1258م أحكم الحصار حول مدينة بغداد، وبدأ القصف التتري في الأول من صفر سنة 656هـ، واستمر أربعة أيام متصلة.. ولم تكن هناك مقاومة تذكر !!

ولما رأى الخليفة حرج موقفه، خرج بوفد تعداده سبعمائة من أكابر بغداد، وكان فيه بالطبع وزيره الرافضي مؤيد الدين ابن العلقمي، وهنا كانت الفاجعة، لقد قُتل الوفد بكامله، وقُتل ولديّ الخليفة أمام عينيه، وقُيِّد الخليفة وسيق إلى بغداد يرسف في أغلاله، فأمر هولاكو أن يداس بأرجل الخيل، ففعل به ذلك حتى مات. وكان ذلك في يوم 14 صفر سنة 656هـ. ثم

أمر هولاكو جنوده باستباحة بغداد، واستمر القتل في المدينة أربعين يوماً كاملة منذ سقوطها، !وتخيلوا كم قتل في بغداد من المسلمين؟

لقد قتل هناك ألف ألف مسلم (مليون مسلم ..!!) ما بين رجال ونساء وأطفال!!! .. وتخيل أمة فقدت من أهلها مليوناً في غضون أربعين يوماً فقط!!! لقد وصل هولاكو في تحالفاته إلى كبير الوزراء في الخلافة العباسية مؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي وكان رجلاً فاسدًا خبيثًا رافضيًّا، وقد قام الوزير الفاسد بدوره على أكمل ما يكون، وكان له أثر بارز على قرارات الخليفة، وعلى .الأحداث التي مرت بالمنطقة في تلك الأوقات

ثم كانت الطامة الكبرى حرق مكتبة بغداد، فقد حمل التتار الكتب الثمينة، ملايين الكتب القيمة، وألقوا بها جميعاً في نهر دجلة، وألقى المغول

بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة، وتحول لون المياه إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب حتى قيل الفارس المغولي كان يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى..

استمرار العلاقات والإلفة بالتنازل، أفضل من قطعها بالقانون، أما إذا وصلَ الأمرُ لطريقٍ مسدودٍ فليأخذ القانون مجراه!

كان في الجاهليةِ رجلٌ يقضي في الخصوماتِ بين الناس، يقصدونه من أرجاءِ جزيرة العرب، وكان له ابن وحيد ليس له غيره، وفي يومٍ من الأيام لاحظَ الابنُ بعضَ الحزنِ بادياً على وجه أبيه، فسأله عن السبب، فأخبره أنه حزين لأنه صارَ طاعناً في السِّن وأن الناس بعد موته لن تقصدَ بيته لحل النزاعات.

فقال له الابن: أنا أقضي بينهم مكانك!

فقال له الأب: إذا جاءك كريم وبخيل في خصام ماذا تفعل؟

قال: آخذ من حصة الكريم وأُعطي البخيل وأُصلحُ بينهما.

فقال له: إذا جاءك بخيلان ماذا تفعل؟

قال: أدفعُ من جيبي وأُصلح بينهما.

فقال له: إذا جاءك كريمان ماذا تفعل؟

فقال: يا أبتِ كريمان لا يحتاجان حكماً بينهما!

فرِحَ الأبُ بجواب ابنه، وقال: هذا البيتُ لن يُغلقَ بموتي!

تأملات_تاريخية

("تفاؤل في الأسوأ (الجزء "5" من "5"

تلك كانت مراحل المأساة الكبرى التي مرت بالأمة خلال محنة التتار، وهي مأساة بلا شك تظهر فيها حالة الأمة الخواء أخلاقيًا وسياسيًا واجتماعيًا وعسكريًا، وهي حالة لا تختلف كثيرًا عما نحن فيه، وإن كانت هي الأسوأ، غير أن الأمة خرجت منها منتصرة مظفرة، فمن رحم تلك الأزمة الكبرى كان ظهور المماليك، ومن بينهم كان المظفر سيف الدين قطز، وركن الدين بيبرس، وكان حامل لواء الجهاد وإيقاظ ضمير الأمة في تلك الفترة سلطان العلماء العز بن عبد السلام، الذي مدَّ قطز بالإعداد

النفسي والمادي لجيوش المسلمين، حتى كانت وقعة عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرون من رمضان سنة 658هـ/ 1260م، والتي كُسر فيها التتار، ورد الله كيدهم في نحورهم وأعاد الله للأمة عزها.

لقد كانت محنة التتار صفحات دامية في تاريخ الأمة الإسلامية، دفعت فيها ثمن الابتعاد عن تطبيق شرع الله ، ولكنها من خلال تلك المحنة عرفت سبيل النصر، وسلكت سبيل الرُّشد مرَّة أخرى.

انتهى

****

- المصادر والمراجع:

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري

ابن كثير: البداية والنهاية -

راغب السرجاني: مقالات قصة التتار - موقع - قصة الإسلام.

علي الصلابي: المغول (التتار) بين الانتشار - والانكسار

وقفة

لن يتمكن الباحث من تحليل التاريخ واستخراج درره ، حتى يلم بهِ حفظاً وفهماً عميقًا من الناحية الفكرية والسياسية، عندها ستسهل عليه مهمة قطف ثماره ،

وهنا تستطيع أن تميز بين الباحث والقارئ العادي .

يعتقد البعض أن المسلمين في الأندلس قد تدفقوا من أنحاء البلاد الإسلامية واستوطنوا الأندلس بعد فتحها ، وهذا الاعتقاد خاطئ ،

الحقيقة تقول أن نحو ٩٥٪ من مُسلمي #الأندلس هم من أهل البلاد نفسها .

الحسين رضي الله عنه،، وموقعة (كربلاء) التي كانت كرباً وبلاء ًعلى المسلمين

======================

استقرت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة 41هـ، بعد أن تنازل له الحسن بن على بن أبي طالب عن الخلافة، وبايعه هو وأخوه الحسين -رضي الله عنهما- وتبعهما الناس؛ وذلك حرصًا من الحسن على حقن الدماء وتوحيد الكلمة والصف، وقد أثنى الناس كثيرًا على صنع الحسن، وأطلقوا على العام الذي سعى فيه بالصلح "عام الجماعة"، وحقق بهذا المسعى الطيب نبوءة جده الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وقولته: "ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

وكان الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب يترددان على معاوية في دمشق فيكرمهما ويحسن وفادتهما، ويعرف لهما قدرهما ومكانتهما، ولما مات الحسن ظل أخوه الحسين رضي الله عنه يفد كل عام إلى معاوية؛ فيحسن استقباله ويبالغ في إكرامه، وظل الحسين وفيًّا لبيعته، ويرى في الخروج على طاعة معاوية نقضًا لبيعته له، ولم يستجب لرغبة أهل الكوفة في هذا الشأن، بل إن الحسين اشترك في الجيش الذي بعثه معاوية لغزو القسطنطينية بقيادة ابنه "يزيد" في سنة 49هـ.

فاجأ "معاوية بن أبي سفيان" الأمة الإسلامية بترشيح ابنه "يزيد" للخلافة من بعده في وجود عدد من أبناء كبار الصحابة، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، في سائر الأقطار الإسلامية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، ولم يعارضه

سوى أهل الحجاز، وتركزت المعارضة في الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير .

توفي معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ، وخلفه ابنه يزيد؛ فبعث إلى واليه بالمدينة لأخذ البيعة من الحسين الذي رفض أن يبايع "يزيد"، كما رفض -من قبل- تعيينه وليًا للعهد في خلافة أبيه معاوية، وغادر المدينة سرًا إلى مكة واعتصم بها، منتظرًا ما تسفر عنه الأحداث.

الحسين رضي الله عنه،، وموقعة (كربلاء) التي كانت كرباً وبلاء ًعلى المسلمين

=======================

استقرت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة 41هـ، بعد أن تنازل له الحسن بن على بن أبي طالب عن الخلافة، وبايعه هو وأخوه الحسين -رضي الله عنهما- وتبعهما الناس؛ وذلك حرصًا من الحسن على حقن الدماء وتوحيد الكلمة والصف، وقد أثنى الناس كثيرًا على صنع الحسن، وأطلقوا على العام الذي سعى فيه بالصلح "عام الجماعة"، وحقق بهذا المسعى الطيب نبوءة جده الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وقولته: "ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

وكان الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب يترددان على معاوية في دمشق فيكرمهما ويحسن وفادتهما، ويعرف لهما قدرهما ومكانتهما، ولما مات الحسن ظل أخوه الحسين رضي الله عنه يفد كل عام إلى معاوية؛ فيحسن استقباله ويبالغ في إكرامه، وظل الحسين وفيًّا لبيعته، ويرى في الخروج على طاعة معاوية نقضًا لبيعته له، ولم يستجب لرغبة أهل الكوفة في هذا الشأن، بل إن الحسين اشترك في الجيش الذي بعثه معاوية لغزو القسطنطينية بقيادة ابنه "يزيد" في سنة 49هـ.

فاجأ "معاوية بن أبي سفيان" الأمة الإسلامية بترشيح ابنه "يزيد" للخلافة من بعده في وجود عدد من أبناء كبار الصحابة، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، في سائر الأقطار الإسلامية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، ولم يعارضه

سوى أهل الحجاز، وتركزت المعارضة في الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير .

توفي معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ، وخلفه ابنه يزيد؛ فبعث إلى واليه بالمدينة لأخذ البيعة من الحسين الذي رفض أن يبايع "يزيد"، كما رفض -من قبل- تعيينه وليًا للعهد في خلافة أبيه معاوية، وغادر المدينة سرًّا إلى مكة واعتصم بها، منتظرًا ما تسفر عنه الأحداث.

تحفيز للخروج

رأى أهل الشيعة في الكوفة أن الفرصة قد حانت لأنْ يتولى الخلافة الحسين بن علي، بعدما علموا بخروجه إلى مكة؛ فاجتمعوا في بيت زعيمهم "سليمان بن صرد"، واتفقوا على أن يكتبوا للحسين يحثونه على القدوم إليهم، ليسلموا له

الأمر، ويبايعوه بالخلافة، وتتابعت رسائل أشراف الكوفة إلى الحسين، كلها ترغبه في الحضور، حتى بلغت خمسين رسالة.

وأمام هذه الرسائل المتلاحقة، ووعود أهل الكوفة الخلابة بالنصرة والتأييد، استجاب الحسين لدعوتهم، وعزم قبل أن يرحل إليهم أن يستطلع الأمر، ويتحقق من صدق وعودهم؛ فأرسل ابن عمه "مسلم بن عقيل بن أبي طالب" لهذا الغرض. وما إن وصل إلى الكوفة، حتى استقبله أهلها بحماس بالغ وحفاوة شديدة، ونزل دار "المختار الثقفي" واتخذها مقرًّا لاستقبال الشيعة، حتى إذا اجتمع عدد كبير منهم، قرأ عليهم "مسلم" كتاب الحسين، الذي جاء فيه أنه مجيبهم إلى ما يريدون إن لزموا العهد، وصبروا على الجهاد؛ فأخذوا يبكون، وقام كبار الشيعة بإعلان تأييدهم للحسين، وخطب بعضهم مؤثرًا في الحاضرين

فقال: "والله لأجيبنكم إذا دعوتم، لأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله". ولم يكن أمام "مسلم بن عقيل" وهو يرى هذه الحشود الضخمة التي أعلنت بيعتها للحسين إلا أن يكتب للحسين يطمئنه ويطلب منه القدوم، ويقول له: "بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل فأقدم، فإن جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان".

ولما علم "يزيد بن معاوية" بما يحدث في الكوفة، عزل واليها "النعمان بن بشير" لتساهله مع مسلم وتغاضيه عما يفعله، وولّى مكانه "عبيد الله بن زياد" فحضر على الفور، واتبع مع أهل الكوفة سياسة الشدة والترهيب، واشترى ولاء بعضهم ببذل الأموال، فانفضت الآلاف من حول (مسلم) وتركوه يلقى مصرعه وحده، بعد أن قبض عليه

"ابن زياد" وألقى به من أعلى قصر الإمارة فمات، ثم صلبه؛ فكان أول قتيل صُلبت جثته من بني هاشم.

خرج الحسين من مكة إلى الكوفة في 8 من ذي الحجة 60هـ، وعندما بلغ "القادسية" علم بمقتل مسلم وتخاذل الكوفيين عن حمايته ونصرته، فقرر العودة إلى مكة، لكن إخوة مسلم أصرّوا على المضي قدمًا للأخذ بثأره، فلم يجد الحسين بدًا من مطاوعتهم، وواصل السير حتى بلغ كربلاء على مقربة من الكوفة في (2 من المحرم)، ووجد جيشًا كبيرًا في انتظاره يقوده "عمر بن سعد بن أبي وقاص" في حين كان مع الحسين نحو تسعين نفسًا، بعدما تفرق عنه الناس، ولم يبق معه إلا أهل بيته وقليل ممن تبعوه في الطريق، وعسكرت القوتان غير المتكافئتين في هذا المكان.

حاول الحسين أن يخرج من هذا المأزق بعد أن رأى تخاذل أهل الكوفة وتخليهم عنه كما تخلوا من قبل عن مناصرة مسلم، وبلغ تخاذلهم أنهم أنكروا الكتب التي بعثوا بها إلى الحسين حين ذكرهم بها، فعرض على عمر بن سعد ثلاثة حلول: إما أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، وإما أن يذهب إلى ثغر من ثغور الإسلام للجهاد فيه، وإما أن يأتي يزيد بن معاوية في دمشق فيضع يده في يده.

وكانت هذه الاقتراحات خطوة طيبة نحو الحل السلمي، وترك الثورة، وحقن الدماء؛ فبعث بها "عمر بن سعد" إلى واليه "عبيد الله بن زياد" فرفض هذه الحلول، وأبى إلا أن يسلم الحسين نفسه باعتباره أسيرًا، ويرسله بهذه الصفة إلى يزيد في دمشق، وسخر من عمر حين أبدى عطفًا

تجاه الحسين، وكتب إليه: "إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنِّيه السلامة والبقاء، وانظرْ فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليَّ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثِّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون".

رفض الحسين بن علي هذا الطلب، وجمع أصحابه مرة بعد مرة وقال لهم: "لقد بررتم وعاونتم، والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحدًا، فإذا جنّكم الليل فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم". فما كان منهم -وهم لم يكونوا جميعًا من ذوي عمومته وأقربائه- إلا أن قالوا له: "معاذ الله! بل نحيا بحياتك ونموت معك".

في العاشر من محرم كانت المعركة

وقبل أن تبدأ المعركة لجأ جيش ابن زياد إلى منع الماء عن الحسين وصحبه، فلبثوا أيامًا يعانون العطش، يستهدفون من ذلك إكراه الحسين على التسليم، ثم بدأ القتال بين قوتين غير متكافئين في العاشر من المحرم، فكان مع الحسين اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلاً، في حين يبلغ جيش أعدائه أكثر من أربعة آلاف، يكثر فيهم الفرسان وراكبو الإبل، ويحملون صنوفًا مختلفة من السلاح، ومع هذا التفاوت فقد أظهر الحسين ومن معه ضروبًا عجيبة من الشجاعة والإقدام، وتساقطوا واحدًا بعد الآخر وهم ملتفون حول الحسين، ويقاتلون بين يديه، وتعدى القتل الرجال المقاتلين إلى الأطفال والصبيان من عِترته وآل بيته، ولم يبق إلا هو، يقاتل تلك الجموع المطبقة عليهم، حتى أثخنوه بالجراح؛ فسقط رضي الله عنه قتيلاً، ثم قطعوا رأسه الشريف وأرسلوا به

إلى يزيد بن معاوية، ولم ينج من القتل إلا "علي زين العابدين بن الحسين"، فحفظ نسل أبيه من بعده.

وكانت نتيجة المعركة واستشهاد الحسين على هذا النحو، مأساةً مروِّعة أدمت قلوب المسلمين وهزت مشاعرهم في كل مكان، وحركت عواطفهم نحو آل البيت، وكانت سببًا في قيام ثورات عديدة ضد الأمويين، حتى انتهى الأمر بسقوطهم، وقيام الدولة العباسية على أنقاضها.